[١] تعريف الدنيـــا

سُميت الدنيا : لدنوها ، ولأنها : دنت ، وتأخرت الآخرة .

وكذلك السماء الدنيا هى القربى إلينا ، والنسبة إلى الدنيا : دنياوي ، ويقال : دنيوى ودُنْيِيٌّ ... [(١)] .

والدنيا : نقيض الآخرة ، والدنيا أيضاً : اسم لهذه الحياة لبُعد الآخرة عنها .

والسماء الدنيا لقربها من ساكنى الأرض . ويقال : سماء الدنيا ، على الإضافة [(٢)] .

ولقد وردت لفظة « الدنيا » في القرآن الكريم على نحو مائة وخمسة عشر مرة ، وردت مضافة إلى الحياة ، وهذا في

---

(١) المعنى : أن المتلبس بالدنيا ، المنهمك فيها ، ينسبوه إليها بقولهم : رجل دنيوي .

(٢) « لسان العرب لابن منظور ، مادة « دنا » .

قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾ .

[العنكبوت : ٦٤] .

وهذا كثير في كتاب الله تعالى ، ووردت مجردة وهذا في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر : ١٠] .

ووردت مضافة إلى السماء كصفة لها ، وهذا في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ (٥) ﴾ .

[الملك : ٥] .

قال الزمخشري - رحمه الله تعالى - :

« القربى ؛ لأنها أقرب السموات إلى الناس ،ومعناه : السماء الدنيا منكم »[١] .

وقال أبو حيان التوحيدي - رحمه الله تعالى - :

« السماء الدنيا : هى التي نشاهدها ، والدنو أمر نسبي ، وإلا فليست قريبة »[٢] .

ومن أسماء الدنيا :

الأولى :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأُولَىٰ (١٣) ﴾ [الليل : ١٢ ، ١٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَىٰ (٤) ﴾ [الضحى : ٤] .

وفي تفسير الآية الأولى : « أي الدنيا والآخرة لله

---

(١) « الكشاف » للزمخشري « ١٣٥/٤ » دار الفكر - بيروت .

(٢) « تفسير البحر المحيط » لأبي حيان « ٢٩٩/٨ » دار الفكر .

تعالى »[١] .

وفي تفسير الآية الثانية : « أي ما عندي في مرجعك إليَّ يا محمد ، خير لك مما عَجَّلتُ لك من الكرامة في الدنيا »[٢] .

العاجلة :

قال الله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء : ١٨] .

« يعني الدنيا ، والمراد : الدار العاجلة ، فَعُبِّر بالنعت عن المنعوت »[٣] .

---

(١) « تفسير القرطبي » (٢٠/ ٨٦) .
(٢) « تفسير القرطبي » (٢٠ / ٩٥) .
(٣) « تفسير القرطبي » (١٠ / ٢٣٥) .

[٢] وصف الدنيا ومثلها في القرآن الكريم

اعلم رحمك الله تعالى :

أن الله تعالى وصف الدنيا بأوصاف عديدة ، وضرب لها الأمثال ، ومن هذه الأوصاف وهذه الأمثال :

[١] أنها متاع :

قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) ﴾ .

[آل عمران : ١٨٥] .

في هذه الآية يخبر تعالى إخباراً عاماً يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت ، كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ (٢٧) ﴾ [الرحمن : ٢٦ ، ٢٧] .

فهو تعالى وحده الذي لا يموت ، والجن والإنس

يموتون ، وكذلك الملائكة وحملة العرش ، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخراً كما كان أولاً.

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

تصغير لشأن الدنيا وتحقير لأمرها ، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة [١] .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

« أي تَغُر المؤمن وتخدعه ، فيظن طول البقاء وهي فانية » .

والمتاع : ما يُتمتع به ويُنتفع ، كالفأس ، والقِدْر والقصعة ، ثم يزول ولا يبقى ملكه ، قاله أكثر المفسرين .

قال الحسن : كخُضرة النبات ، ولعب البنات لا حاصل له .

وقال قتادة : هي متاع متروك توشك أن تضمحل

---

(١) « تفسير القرآن العظيم » ابن كثير « ١/٤٣٤ ، ٤٣٥ » باختصار .

بأهلها ، فينبغي للإنسان أن يأخذ من هذا المتاع بطاعة الله سبحانه ما استطاع .

وقد أحسن من قال :

هـي الـدارُ دارُ الأذى والقـذى
ودار الـفـنـاء ودار الغِيَـرْ
فلـو نلتهـا بحـذافيرهـا
لَمُـتَّ ولم تقـض منها الوطـرْ
أيـا من يؤمّـل طـول الخلـود
وطـول الخلـود عليـه ضـررْ
إذا أنـت شبـت وبـان الشبـاب [١]
فلا خيـر فـي العيش بعد الكبرْ

والغَـرور : « بفـتح العين » : الشـيطان ، يغـر الناس بالتمنية والوعود الكاذبة .

---

(١) أي : بَعُدَ وانفصل .

قال ابن عرفة : الغرور ما رأيت له ظاهراً تحبه ، وفيه باطن مكروه أو مجهول .

والشيطان غَرور ؛ لأنه يحمل على محاب النفس ووراء ذلك ما يسوء [١] .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

[آل عمران : ١٨٥] .

إنها متاع ، ولكنه ليس متاع الحقيقة ، ولا متاع الصحو واليقظة .

إنها متاع الغرور ... .

المتاع الذي يخدع الإنسان فيحسبه متاعاً ، أو المتاع الذي ينشئ الغرور والخداع ... .

فأما المتاع الحق :

المتاع الذي يستحق الجهد في تحصيله ... فهو ذاك ،

---

(١) « تفسير القرطبي » (٤ / ٣٠٢) .

هو الفوز بالجنة ، بعد الزحزحة عن النار [١] .

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ (٢٦) ﴾ .

[الرعد : ٢٦] .

وفي هذه الآية الكريمة :

« يذكر تعالى أنه هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ، ويقتر على من يشاء ، لما له في ذلك من الحكمة والعدل » [٢] .

« فَبَسْط الرزق على الكافر لا يدل على كرامته ، والتقتير على بعض المؤمنين لا يدل على إهانتهم ... » .

﴿ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني مشركي مكة ، فرحوا بالدنيا ولم يعرفوا غيرها ، وجهلوا ما عند الله .

﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ ﴾ أي في جنبها .

---

(١) « في ظلال القرآن » سيد قطب (١ / ٥٣٩) دار الشروق .

(٢) « تفسير ابن كثير » (٢ / ٤٤٢) .

﴿ إِلاَّ مَتَاعٌ ﴾ أي متاع من الأمتعة [١] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٨) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ [غافر : ٣٨ ، ٣٩] .

يقول المؤمن لقومه ممن تمرد وطغى، وآثر الحياة الدنيا ، ونسي الجبار الأعلى ، فقال لهم : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ لا كما كذب فرعون في قوله : ﴿ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٢٩) ﴾ [٢٩ : غافر] .

ثم زهدهم في الدنيا التي قد آثروها على الأخرى وصدتهم عن التصديق برسول الله موسى عليه الصلاة والسلام ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ﴾ أي : قليلة زائلة فانية ، عن قريب تذهب وتضمحل .

﴿ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ أي : الدار التي لا زوال لها ، ولا انتقال منها ، ولا ظعن عنها إلى غيرها ، إما

---

(١) « تفسير القرطبي » (٩ / ٣١٤) باختصار .

نعيم ... وإما جحيم »[(١)] .

[٣] أنها : لعب ولهو وزينة وتفاخر :

قال الله تعلى : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٣٢) ﴾ .

[الأنعام : ٣٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٤) ﴾ .

[العنكبوت : ٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ (٣٦) ﴾ .

[محمد : ٣٦] .

أي : شئ يُلهى به ويُلعب ، أي : ليس ما أعطاه الله الأغنياء من الدنيا إلا وهو يضمحل ويزول : كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤ / ٧٣) .

قال بعضهم: « الدنيا إن بقيت لك، لم تبق لها » [١].

« وقيل : المعنى : متاع الحياة الدنيا لعب ولهو ، أى : الذي يشتهونه في الدنيا لا عاقبة له ، فهو بمنزلة اللعب واللهو ... وقيل : معنى « لعب ولهو : باطل وغرور » [٢].

وقال تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ (٢٠) ﴾ .

[الحديد : ٢٠] .

« قيل : اللعب : ما رغّب في الدنيا ، واللهو : ما ألهى عن الآخرة ، أي : شغل عنها ، وقيل : اللعب : الاقتناء ، واللهو : النساء .

---

(١) « تفسير القرطبي » (١٣ / ٦٣٢) .

(٢) « تفسير القرطبي » (٦ / ٤١٤) .

﴿ وَزِينَةٌ ﴾ .

الزينة : ما يُتزين به ، فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للآخرة ، وكذلك من تزين في غير طاعة الله .

﴿ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ ﴾ .

أي : يفخر بعضكم على بعض بها .

وقيل : بالخلقة والقوة .

وقيل : بالأنساب على عادة العرب في المفاخرة بالآباء .

﴿ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلَادِ ﴾ .

لأن عادة الجاهلية أن تتكاثر بالأبناء والأموال ، وتكاثر المؤمنين بالإيمان والطاعة .

قال بعض المتأخرين :

﴿ لَعِبٌ ﴾ كلعب الصبيان .

﴿ وَلَهْوٌ ﴾ كلهو الفتيان .

﴿ وَزِينَةٌ ﴾ كزينة النسوان .

﴿ وَتَفَاخُرٌ ﴾ كتفاخر الأقران .

﴿ وَتَكَاثُرٌ ﴾ كتكاثر الدُّهقان [١] .

وقيل : المعنى : أن الدنيا كهذه الأشياء في الزوال والفناء » [٢] .

« ثم ضرب تعالى مثال الحياة الدنيا في أنها زهرة فانية ، ونعمة زائلة ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ ﴾ .

وهو المطر الذي يأتي بعد قنوط الناس، كما قال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ﴾ .

[الشوري : ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ﴾ .

أي يعجب الزرّاع نبات ذلك الزرع الذي نبت بالغيث ، وكما يعجب الزراع ، كذلك تعجب الحياة الدنيا الكفار ؛ فإنهم أحرص شيئ عليها وأميل الناس إليها .

---

(١) أي التاجر : فارسي معرب .

(٢) « تفسير القرطبي » (١٧ / ٢٥٥) باختصار يسير .

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ .

أي : يهيج ذلك الزرع فتراه مصفراً بعدما كان خضراً نضراً ،ثم يكون بعد ذلك حطاماً ، أي يصير يبساً متحطماً ، هكذا الحياة الدنيا : تكون أولاً شابة ، ثم تكتهل ، ثم تكون عجوزاً شوهاء ، والإنسان يكون ذلك في أول عمره وعنفوان شبابه غضاً طرياً لين الأعطاف ، بَهِّي المنظر ، ثم إنه يشرع في الكهولة فتتغير طباعه ويفقد بعض قواه ، ثم يكبر فيصير شيخاً كبيراً ضعيف القوى ، قليل الحركة يعجزه الشيء اليسير ، كما قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٤) ﴾ [الروم : ٥٤] .

ولما كان هذا المثل دالاً على زوال الدنيا وانقضائها وفراغها لا محالة ، وأن الآخرة كائنة لا محالة ، حذر من أمرها ورغب فيما فيها من الخير ، فقال : ﴿ وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ

مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

أي : وليس في الآخرة الآتية القريبة إلا إما هذا وإما هذا : إما عذاب شديد، وإما مغفرة من الله ورضوان .

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ .

أي : هي متاع فانٍ ، غارٌ لمن ركن إليه ، فإنه يغتر بها وتعجبه حتى يعتقد أن لا دار سواها ولا معاد وراءها ، وهي حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار الآخرة [١] .

تنبيه :

ينبغي أن يُعلم أنه : « ليس من اللهو واللعب ما كان من أمور الآخرة ، فإن حقيقة اللعب ما لا ينتفع به ، واللهو ما يتلهى به ، وما كان مراداً للآخرة خارج عنهما ، وذم رجل الدنيا عند عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال عليٌّ : « الدنيا دار صدق لمن صَدَقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها » .

---

(١) « تفسير ابن كثير » (٤/٢٧٤) .

وقال محمود الوراق :

لا تتبـــع الدنيـــا وأيامـــهـــا

ذامـاً وإما دارت بـك الدائـرة

من شـرف الدنيا ومن فضلها

أن بها تستـدرك الآخـرة [١]

وعن عطاء بن رباح قال :

رأيت جابر بن عبد الله ، وجابر بن عمير الأنصاريين يرتميان فمل أحدهما فجلس ، فقال له الآخر : كسلت ؟ سمعـت رسول الله ﷺ يقول : «**كل شيئ ليس من ذكر الله لهو ولعب، إلا أن يكون أربعة : ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فـرسـه ، ومـشى الرجل بين الغـرضين ،وتعليم الرجل السباحة** » [٢] .

---

(١) « تفسير القرطبي » (٦ / ٤١٤ ، ٤١٥) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه النسائي ، وانظر « صحيح الجامع الصغير » للألباني ، حديث (٤٤١٠) ، و « السلسلة الصحيحة للألباني » ، حديث (٣١٥) .

وقال أحمد بن أبي الحواري :

« قلت لأبي صفوان الرعيني : أي شيء الدنيا التي ذمها الله في القرآن ينبغي للعامل أن يجتنبها ؟ قال : كل ما عملت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم ... وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها . فحدثت بها مروان ، فقال : الفقه على ما قال أبو صفوان »[1] .

[٣] أنها كماء أنزله الله تعالى من السماء :

قال تعالى : ﴿ **إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤)** ﴾ .

[يونس : ٢٤] .

---

(١) « كتاب الزهد الكبير » ، البيهقي / تحقيق الشيخ / عامر أحمد حيدر (١٨٧) مؤسسة الكتب الثقافية .

وقال تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) ﴾ .

[الكهف : ٤٥] .

« **ومعنى الآية** : التشبيه والتمثيل ، أي : صفة الحياة الدنيا في فنائها وزوالها ، وقلة خطرها والملاذ بها : كماء ، أي : مثل ماء »[(١)] .

« شبه سبحانه الحياة الدنيا في أنها تتزين في عين الناظر ، فتروقه بزينتها وتعجبه ، فيميل إليها ويهواها ، إغتراراً منه بها .

حتى إذا ظن أنه مالك لها قادر عليها ، سُلبها بغتة أحوج ما كان إليها ، وحيل بينه وبينها .

فشبهها بالأرض التي ينزل الغيث عليها ، فتعشب ويحسن نباتها ، ويروق منظرها للناظر ، فيغتر بها ، ويظن أنه

---

(١) « تفسير القرطبي » (٣٢٧/٨) .

قادر عليها ، مالك لها ، فيأتيها أمر الله فتدرك نباتها الآفة بغتة ، فتصبح كأن لم تكن قبل شيئاً ، فيخيب ظنه ، وتصبح يداه منها صفراً .

فهكذا حال الدنيا والواثق بها سواء . وهذا من أبلغ التشبيه والقياس .

ولما كانت الدنيا عرضة لهذه الآفات ، وجنة الآخرة سليمة منها ، قال : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ ﴾ .

فسماها هاهنا دار السلام ؛ لسلامتها من هذه الآفات التي ذكرها في الدنيا ، فعم بالدعوة إليها ، وخص بالهداية لها من يشاء ، فذاك عدله ... وهذا فضله »[1] .

فائدة :

« قالت الحكماء : إنما شبه تعالى الدنيا بالماء :

لأن الماء : لا يستقر في موضع ، كذلك الدنيا لا تبقى .

---

(١) التفسير القيم للإمام ابن القيم » ، جمع محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي (٣٠٥) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

لأن الماء : لا يستقيم على حالة واحدة ،كذلك الدنيا.

ولأن الماء : لا يبقي ويذهب كذلك الدنيا تفنى .

ولأن الماء : لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل ، كذلك الدنيا لا يسلم أحد دخلها من فتنتها وآفاتها .

ولأن الماء : إذا كان بقدر كان نافعاً منبتاً ، وإذا جاوز المقدار كان ضاراً مهلكاً ، وكذلك الدنيا ، الكفاف منها ينفع ، وفضولها يضر »[1] .

(١) « تفسير القرطبي » (١٠/ ٤١٢) .

[٣] وصف الدنيا ومثلها في السُّنّة المشرفة

ومن أوصاف وأمثال الدنيا التي في سُنّة النبي ﷺ :

[١] هوانها على الله عز وجل :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بالسوق ، داخلاً من بعض العالية ، والناس كَنَفَتَه [(١)] فمر بجدي أسك [(٢)] ميت فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال : « **أيكم يحب أن هذا له بدرهم ؟** » .

فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ .

قال : « **أتحبون أنه لكم ؟** » ؟ .

قالوا : « والله لو كان حياً ، كان عيباً فيه ، لأنه أسكّ ، فكيف وهو ميت ؟ .

فقال : « **فوالله للدنيا أهون على الله ، من هذا**

---

(١) كنفته : أي جانبه .

(٢) أسكّ : أي صغير الأذنين .

عليكم » [١] .

الحديث فيه تشبيه وتمثيل النبي ﷺ للدنيا بهذا الجدي الأسك الميت ، والذي عافت الصحابة عن أخذه وإن كان حيّاً.

وأقسم ﷺ بالله ليؤكد لهم ما يقول ، وهو هوان الدنيا على الله عز وجل وحقارتها عنده ، من هوان هذه الميتة على البشر .

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء** » [٢] .

وهذا « مَثَل لغاية القلة والحقارة ... أي : لو كان لها أدنى قدْر ما متَّع الكافر منها أدنى تمتع . وهذا أوضح دليل وأعدل شاهد على حقارة الدنيا .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم في كتاب « الزهد والرقائق » حديث (٢) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه الترمذى، وانظر «صحيح الجامع » (٥١٦٨) و « السلسلة الصحيحة » (٩٤٣) .

قال بعض العارفين : أدنى علامات الفقر : لو كانت الدنيا بأسرها لواحد فأنفقها في يوم واحد ، ثم خطر له أن يمسك منها مثقال حبة من خردل ، لم يصدق في فقره .

وقيل لحكيم : أي خلق الله أصغر ؟ .

قال : الدنيا ، إن كانت لا تعدل عند الله جناح بعوضة .

فقال السائل : من عظم هذا الجناح فهو أحقر منه [١] .

[٢] أن الله تعالى جعلها قليلاً :

عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **إن الله تعالى جعل الدنيا كلها قليلاً ، وما بقي منها إلا القليل ، كالنَّغب شُرب صفوه ، وبقي كدره** » [٢] .

---

(١) « فيض القدير شرح الجامع الصغير » للعلامة المناوي(٣٢٨/٥) دار المعرفة / بيروت .

(٢) **حديث حسن** : أخرجه الحاكم ، وانظر « صحيح الجامع »(١٧٣٣) و « السلسلة الصحيحة »(١٦٢٥) .

« يعني أنه مثل الدنيا كمثل حوض كبير ملئ ماء وجُعل مورداً للأنام والأنعام . فجعل الحوض ينقص على كثرة الوارد حتى لم يبق منه إلا وشل كدر في أسفله بالت فيه الدواب وخاضت فيه الأنعام .

فالعاقل لا يطمئن إلى الدنيا ولا يغتر بها بعد ما اتضح له أنها زائلة مستحيلة ، وأنه قد مضى أحسنها ، وأنها وإن ساعدت مدة فالموت لا محالة يدرك صاحبها ويخترمه » (١) .

وعن المستورد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **والله ما الدنيا في الآخرة : إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم ، فلينظر بما ترجع** » (٢) .

« ومعنى الحديث : ما الدنيا بالنسبة إلى الآخرة في قصر مدتها ، وفناء لذاتها ، ودوام الآخرة ودوام لذاتها

---

(١) « فيض القدير » (٢٢١/٢) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم في كتاب « الجنة وصفة نعيمها وأهلها » باب فناء الدنيا .

ونعيمها ، إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالأصبع إلى باقي البحر » [١] .

[٣] أن ما يأكله الناس جُعِلَ مثلاً لها :

عن الضَّحاك بن سفيان رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **إن الله تعالى جعل ما يخرج من بني آدم مثلاً للدنيا** » [٢] .

وعن أُبيّ رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **إنَّ مطعمَ ابنِ آدم قد ضُربَ مثلاً للدُنيا ، وإن قَزَّحهُ وملَّحهُ ، فانظر إلى ما يصير** » [٣] .

وقال الزمخشري : معناه أن المطعم وإن تكلف الإنسان التفوق في صنعته وتطييبه وتحسينه فإنه لا محالة عائد إلى

---

(١) « **صحيح مسلم** : بشرح النووي » (١٩٢/١٧ ، ١٩٣) مكتبة الرياض الحديثة .

(٢) **حديث حسن** : أخرجه أحمد ، والطبراني ، والبيهقي ، وانظر « صحيح الجامع » (١٧٣٥) و« السلسلة الصحيحة » (٣٨٢) .

(٣) **حديث حسن** أخرجه ابن حبان ، والطبراني ، وانظر « صحيح الجامع » (٢١٩١)

حال يستقذر ، فكذا الدنيا المحروص على عمارتها ونظم أسبابها راجعة إلى خراب وإدبار .

وقال الديلمي : هذا كناية عن البول والغائط ، يعني ما يخرج منه كان قبل ذلك ألواناً من أطعمة طيبة ، وشراباً سائغاً فصارت عاقبته ما ترون .

فالدنيا خضرة حلوة ، والنفس تميل إليها ، والجاهل بعاقبتها ينافس في زينتها ، ظاناً أنها تبقى أو هو يبقى .

فشهوات الدنيا في القلب كشهوات الأطعمة في المعدة ، وسوف يجد العبد عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يجده للأطعمة اللذيذة إذا انتهت إلى المعدة غايتها .

وكما أن في الأطعمة كلما كانت ألذ طعماً وأكثر دسماً وحلاوة كان رجيعها أقذر ، فكذا كل شهوة في النفس ألذ وأقوى فالتأذي بها عند الموت أشد ، كما أن تفجع الإنسان بمحبوبه إذا فقده،يقوى بفقد محبة المحبوب .

وقد كان بعض الصوفية يقول لصحبه : انطلقوا حتى أريكم الدنيا ، فيذهب إلى المزابل ، فيقول : انظروا إلى ثماركم ودجاجكم وسكركم » [(١)] .

[٤] أنها متاع :

عن ابن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » [(٢)] .

هي مع دناءتها إلى فناء ، وإنما خلق ما فيها لأن يُستمتع به مع حقارتها أمداً قليلاً ثم ينقضي .

والمتاع ماليس له بقاء [(٣)] .

[٥] أنها حلوة خضرة :

عن ابن عمرو رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « **الدنيا**

---

(١) « فيض القدير » (٢٢١/٢) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم في كتاب « الرضاع » باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة » .

(٣) « فيض القدير » (٥٤٨/٣) .

حلوة خضرة ، فمن أخذها بحقه بورك له فيها ، ورب متخوض فيما اشتهت نفسه ؛ ليس له يوم القيامة إلا النار » (١) .

يريد أن للدنيا ظاهراً وباطناً ، فظاهرها : ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها ، وإليه أشار قوله سبحانه : ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ .

[الروم : ٧] .

وحقيقتها : أنها مجاز إلى الآخرة ، يتزود منها إليها بالطاعة والعمل الصالح (٢) .

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **حُلوة الدنيا مُرة الآخرة ، ومرة الدنيا حُلوة الآخرة** » (٣) .

---

(١) **حديث صحيح** : أخرجه الطبراني في « الكبير » وانظر « صحيح الجامع (٣٤٠٤) .

(٢) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٥) .

(٣) **حديث صحيح** أخرجه أحمد في « المسند » والطبراني في « الكبير » والحاكم في « المستدرك » والبيهقي في « الشعب » وانظر « صحيح الجامع (٣١٥٠) .

« يعني لا تجتمع الرغبة فيها والرغبة في الله والآخرة بها ، ولا يسكن هاتان الرغبتان في محل واحد إلا طردت إحداهما الأخرى ، واستبدت بالمسكن ، فإن النفس واحدة والقلب واحد ، فإذا اشتغلت بشيء انقطع عن ضده .

قال الإمام الرازي : الجمع بين تحصيل لذات الدنيا ولذات الآخرة ممتنع غير ممكن ، والله يمكن المكلف من تحصيل أيهما شاء ، فإذا أشغله بتحصيل أحدهما فقط فقد فوت الأجر على نفسه » (١) .

[٦] أنها سجن المؤمن ، وجنة الكافر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**الدنيا سجن المؤمن ؛ وجنة الكافر**» (٢) .

« ومعناه : أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة ، مكلف بفعل الطاعات الشاقة ،

---

(١) فيض القدير (٣ / ٣٩٦ ، ٣٩٧) .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه مسلم في كتاب « الزهد والرقائق » حديث (١) .

فإذا مات استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعد الله تعالى له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من النقصان .

وأما الكافر : فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا من قلته وتكديره بالمنغصات ، فإذا مات صار إلى العذاب الدائم وشقاء الأبد »[١] .

[٧] أنها ملعونة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « **إن الدنيا ملعونة ، ملعونٌ ما فيها ، إلا ذكرَ الله وما والاه ، وعالماً أو متعلماً** »[٢] .

« يمكن أن يكون المراد بلعنها : ملاذ شهواتها وجمع حُطامها ، وما زين من حب النساء والبنين وقناطير الذهب والفضة وحب البقاء بها . فيكون قوله : « ملعونة » : متروكة مبعدة ، متروك ما فيها .

---

(١) « **صحيح مسلم** : بشرح النووي » (١٨ / ٩٣) .

(٢) **حديث حسن** : أخرجه الترمذي ، وابن ماجه ، وانظر « صحيح الجامع » (١٦٠٥) .

واللعن : الترك .

« إلا ذكرَ الله وما والاه » : يعني ملعون ما في الدنيا إلا ذِكر الله ، وما أحبه الله مما يجري في الدنيا ، وما سواه ملعون .

« وعالماً أو متعلماً » : أي هي وما فيها مبعدة عن الله تعالى إلا العلم النافع الدال على الله ؛ فهذا هو المقصود منها [١] .

« قال أبو العباس القرطبي : لا يُفهم من هذا الحديث إباحة لعن الدنيا وسبها مطلقاً » [٢] .

(١) « فيض القدير » (٣ / ٥٤٩) باختصار .
(٢) « فيض القدير » (٢ / ٣٢٦) حاشية ٣ .

[٤] وصف الدنيا ومثلها في أقوال السلف

ولسادات السلف وأئمتهم أقوال وعبارات في وصف الدنيا ومثلها .

وأقوال السلف وعباراتهم كشفت عن علمهم بالدنيا وزهدهم فيها .

قال أبو سليمان الداراني :

« من عرف الدنيا عرف الآخرة ، ومن لم يعرف الدنيا لم يعرف الآخرة »[(١)] .

ومن أقوالهم وعباراتهم في وصف الدنيا ومثلها :

قال الجاحظ يعظ أصحابه :

« إن الدنيا دار عمل ، من صحبها بالنقص لها والزهادة فيها : سعد بها ونفعته صحبتها ، ومن صحبها

---

(١) « حلية الأولياء » (٩ / ٢٦٢) .

على الرغبة فيها والمحبة لها : شقي بها وأجحف بحظه من الله عز وجل ، ثم أسلمته إلى ما لا صبر له عليه ولا طاقة له به من عذاب الله ، فأمرها صغير ... ومتاعها قليل ... والفناء عليها مكتوب ... والله تعالى ولي ميراثها ... وأهلها محولون عنها إلى منازل لا تبلي ولا يغيرها طول الثواء ... منها يخرجون » [(١)] .

وقال مالك بن دينار :

« اتقوا السحَّارة ؛ فإنها تسحر قلوب العلماء ، يعني الدنيا » [(٢)] .

وقال فرقد السبخي :

« اتخذوا الدنيا ظئراً والآخرة أماً، أما ترى الصبي يُلقي على الظئر فإذا ترعرع وعرف والدته ، ترك الظئر وألقى نفسه على والدته فإن الآخرة أمكم يوشك أن تجتركم» [(٣)] .

---

(١) « حلية الأولياء » (٢ / ١٤٠) .
(٢) « حلية الأولياء » (٢ / ٣٦٤) .
(٣) « الحلية » (٣ / ٤٥) .

شبّه الدنيا بالظِّئر ، التي هي مرضعة غير ولدها ، فكما أن الظئر ليست أمه الحقيقية ، فالدينا ليست أمه .

وقال شميط بن عجلان :

« إن الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المنقطعين إليه » [١] .

وقال وهب بن منبه :

« مثل الدنيا والآخرة مثل ضرتين ، إن أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى » [٢] .

وقال ميمون بن مهران :

« الدنيا حلوة خضرة ، قد حفت بالشهوات ، والشيطان عدو حاضر فطن ، وأمر الآخرة آجل ، وأمر الدنيا عاجل » [٣] .

---

(١) « الحلية » (٣/١٣٠) .
(٢) « الحلية » (٤ / ٥١) .
(٣) « الحلية » (٤ / ٩٠) .

وقال أبو عبد الله الصنابحي :

« الدنيا تدعو إلى فتنة ، والشيطان يدعو إلى خطيئة ، ولقاء الله خير من الإقامة معهما » [(١)] .

رؤى مريح بن مسروق الهوزني يوماً يرقع شقوقاً في بيته بزبل البقرة ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنما الدنيا مزبلة نرقعها بالزبل » [(٢)] .

وقال يزيد بن ميسرة :

« كان أشياخنا يسمون الدنيا : الدنية ، ولو وجدوا لها أسماً شراً منه لسموها ، كانوا إذا أقبلت إلى أحدهم دنيا قالوا : إليك عنا ياخنزيرة ، لا حاجة لنا بك ، إنا نعرف إلهنا » [(٣)] .

وقال سفيان الثوري :

« إنما مثل الدنيا مثل رغيف عليه عسل ، مر به ذباب

---

(١) « الحلية » (٥ / ١٢٩) .
(٢) « الحلية » (٥ / ١٥٥) .
(٣) « الحلية » (٥ / ٢٣٥) .

فقطع جناحيه ، وإذا مر برغيف يابس مر به سليماً » [١] .

وقال أيضاً :

« إنما سُميت الدنيا لأنها دنية ، وسُمى المال لأنه يميل بأهله » [٢] .

وقال محمد بن السماك :

« كتب إليّ رجل من إخواني من أهل بغداد : صف لي الدنيا ، فكتبت إليه : أما بعد ، فإنه حفها بالشهوات ، وملأها بآفات ، مزج حلالها بالمؤونات ، وحرامها بالتبعات ، حلالها حساب ، وحرامها عذاب ، والسلام » [٣] .

وقال محمد بن يوسف :

« الدنيا غنيمة الله أو الهلكة،والآخرة عفو الله أو النار» [٤] .

---

(١) « الحلية » (٧ / ٥٥) .
(٢) « الحلية » (٧ / ١٠) .
(٣) « الحلية » (٨ / ٢٠٤) .
(٤) « الحلية » (٨ / ٢٣١) .

وقال يوسف بن أسباط :

« الدنيا دار نعيم الظالمين ، قال : وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : الدنيا جيفة ، فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب » [(١)] .

قال القرقساني :

« أتي يوسف بن أسباط بباكورة ثمرة فغسلها ثم وضعها بين يديه وقال :

إن الدنيا لم تخلق لينظر إليها ، وإنما خلقت لينظر بها إلى الآخرة » [(٢)] .

وقال أبو بكر بن عياش :

« رأيت الدنيا في النوم عجوزاً مشوهة » [(٣)] .

وقال حاتم الأصم :

« مثل الدنيا كمثل ظلك ، إن طلبته تباعد ، وإن

---

(١) « الحلية » (٨ / ٢٣٨) .

(٢) « الحلية » (٨ / ٢٤٠) .

(٣) « الحلية » (٨ / ٣٠٤) .

تركته تتابع »[١] .

وقال يحيي بن معاذ :

« الدنيا أمير من طلبها ، وخادم من تركها .

الدنيا طالبة ومطلوبة ، فمن طلبها رفضته ، ومن رفضها طلبته .

الدنيا قنطرة الآخرة فاعبروها ولا تعمروها ، ليس من العقل بنيان القصور على الجسور .

الدنيا عروس وطالبها ماشطتها ، وبالزهد ينتف شعرها ويسود وجهها ويمزق ثيابها .

ومن طلق الدنيا فالآخرة زوجته ، فالدنيا مطلقة الأكياس ، لا تنقضي عدتها أبداً ، فخل الدنيا ولا تذكرها ، واذكر الآخرة ولا تنسها ،وخذ من الدنيا ما يبلغك الآخرة ، ولا تأخذ من الدنيا ما يمنعك الآخرة »[٢] .

---

(١) « الحلية » (١٠ / ٤٩) .

(٢) « الحلية » (١٠ / ٥٣ ، ٥٤) .

وقال يحيى بن معاذ :

« الدنيا بحر التلف ، والنجاة منها الزهد فيها » [١] .

قال يزيد بن ميسرة :

« كان أشياخنا يسمون الدنيا خنزيرة ، ولو وجدوا لها أسماً شراً منها لسموها به » [٢] .

قال أبو عبد الرحمن السلمي :

حكاية عن الشبلي ، أنه قيل له : ما الدنيا ؟ فقال : قِذْرٌ تغلي ، وكنيف يُملي » [٣] .

وقال الشبلي :

« الدنيا خيال ، وطلبها وبال ، وتركها جمال ، والإعراض عنها كمال ، والمعرفة بالله اتصال » [٤] .

---

(١) « الحلية » (١٠ / ٥٦) .
(٢) « كتاب الزهد الكبير » (١٣٩) .
(٣) « الزهد الكبير » (١٤٣) .
(٤) « الزهد الكبير » (١٤٤) .

سئل الجنيد عن الدنيا ماهي ؟ فقال :

« الدنيا على وجوه : فهي عند قوم : هذا الفتح الذي تراه بين السماء والأرض ، وقوم : يجعلون الدنيا المتاع الذي فيها من الاتساع والغناء » [(١)] .

وقال أبو سعيد الأعرابي :

« سمعت أباغسان القسملي يقول: الدنيا هي النفس ، قال أبو سعيد : وكأنه يقول : الزهد في الدنيا الزهد في النفس ، ومعناه في شهواتها ومحبوبها كله إذا كان يشغل عن الله عز وجل وراحاتها » [(٢)] .

وقال محمد بن الفضل البلخي :

« الدنيا بطنك ، فبقدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا » [(٣)] .

---

(١) « الزهد الكبير » (١٥١) .
(٢) « الزهد الكبير » (١٧٤) .
(٣) « الزهد الكبير » (١٧٥) .

قال جرير بن يزيد :

« قلت لمحمد بن عليّ بن حسين : عظني ، قال : يا جرير اجعل الدنيا مالاً أصبته في منامك ، ثم انتبهت وليس معك منه شيء » (١) .

وقال الحسن :

« الدنيا ثلاثة أيام : أما أمس فقد ذهب بما فيه ، وأما غداً فلعلك أن لا تدركه ، فاليوم لك ، فاعمل فيه » (٢) .

وقال أحمد بن حنبل :

« الدنيا دار عمل ... والآخرة دار جزاء ... فمن لم يعمل هنا ندم هناك » (٣) .

وقال عمر بن محمد المكي :

« خطب عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فقال :«إن

---

(١) « الزهد الكبير » (١٤١) .
(٢) « الزهد الكبير » (١٩٦) .
(٣) « الزهد الكبير » (٢٨٢) .

الدنيا ليست بدار قراركم ... دار كتب الله عليها الفناء ... وكتب على أهلها منها الظعن ، فكم عامر موثق عما قليل مخرب ، كم مقيم مغتبط عما قليل يظعن ، فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما يحضركم من النقلة ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ، وإنما الدنيا كفيء ظلال قلص فذهب ، بينا ابن آدم في الدنيا ينافس فيها وبها قرير العين إذ دعاه الله بقدره ، ورماه بيوم حتفه ، فسلبه آثاره ودنياه ، وصير لقوم آخرين مصانعة ومغناه ، إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضر ، إنها تسر قليلاً وتجر حزناً طويلاً »[1] .

(١) « الحلية » (٥ / ٢٩٢) .